مجلة التراث العلمي العربي فصلية، علمية، محكمة العدد (45) 2020م

المقاصد التربوية للآيات الكونية والإعجاز العلمي للقرآن

أ.م.د.ندى فيصل فهد

كلية التربية للبنات/جامعة بغداد

nada.fhd2017@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/12/9 تاريخ القبول: 2020/1/9 تاريخ النشر: /2020/3

الملخص

تناول البحث موضوع للآيات الكونية والغاية منها وأهم المقاصد التربوية والأغراض التي ذكرت من أجلها. فضلا عن وجوب النظر والتدبر في الآيات الكونية وضوابط التفسير العلمي لها. و الآيات السماوية وما ورد فيها من تفسيرات علمية. اضافة الى الآيات الأرضية وأهم الظواهر التي سخرها الله سبحانه وتعالى لجعل الأرض صالحة للحياة. علما أنه لم يتم استعراض جميع الآيات الكونية الموجودة في القرآن الكريم، وإنما فقط الظواهر الموجودة في الكون والآيات الكريمة التي تحدثت عنها وتمت موازنتها بما ورد من تفسيرات علمية بشأنها.

الكلمات المفتاحية: المقاصد التربوية،الآيات الكونية،الآيات السماوية ،الآيات الارضية

The educational intentions of cosmic signs The scientific miracle of the Qur'an

Assistant prof.Dr.Nada Faisal Fahd

College of Education for women/university of baghdad

Abstract:

The research dealt with the topic of the universal verses and their purpose in addition to the most important educational goals and the purposes for which they were mentioned, as well as the necessity to consider and reflect on the universal verses and the controls of scientific interpretation of them. And the heavenly verses and the scientific explanations contained therein. In addition to the earthly verses and the most important phenomena that God Almighty mocked to make the land fit for life.Knowing that not all the

cosmic verses in the Holy Qur'an were reviewed, but only the phenomena in the universe and the generous verses that I talked about and were balanced with the scientific explanations provided about them.

key words: Educational intentions, cosmic signs, heavenly signs, earthly verses

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم وبعد... قال تعالى في: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[1]، ولو أمعنا النظر في معنى هذه الآية لأدركنا أن الله سبحانه وتعالى قد حصر (الخشية) في العلماء وأنه أراد بهم العلماء العالمين بأسرار الوجود وأسرار الخلق كما جاء في التفاسير، وأحوج الناس إلى العلم بالكون وأسراره هم علماء الدين بصورة خاصة، فليس المفروض فيهم أن يكون علمهم قاصراً على المعنى الاصطلاحي (للفقه) الذي يراد به استنباط أحكام العبادات والمعاملات ولا يكونوا مطلعين على أسرار الوجود والخلق، والفقه بمعناه اللغوي العام هو (الفهم) لكل شيء ولكل ما في الدين من أسرار وأحكام، لذلك فأول ما يجب أن نفهمه هو كلام الله وأول شيء يجب أن نفهمه من كلام الله تعالى , هو الآيات الدالة على وجوده وعلى أنه الخالق العليم القادر المريد وهذه الآيات لا يمكننا تفسيرها ومعرفة معناها الحقيقي إلا إذا اطلعنا على ما في الكون من أسرار الخلق والنظام والاتقان في الصنع، فالآيات الكونية التي وردت في القرآن الكريم لم ترد في سياق الدلالة على أمر يتعلق بالمعاملات والأخلاق، وغيرها، وإنما وردت في سياق الدلالة على القدرة والحكمة في إنزال المطر وخلق النبات والحيوانات على اختلاف ألوانها وأنواعها اذ يقول تعالى: (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحقّ فبأيّ حديثٍ بعد الله وآياته يومنون)[2].

ولكننا يجب أن ننتبه إلى نقطة مهمة في هذا الموضوع وهي أن القرآن الكريم عندما ذكر هذه الآيات لم يقصد بها تقرير العلوم الكونية أو إرشاد الناس إليها من باب التعليم؛ لأن القرآن خطاب للبشر بلغة البشر والله احكم من أن يخاطب الناس بأمور لا يعرفون أسمائها فضلاً عن أسرارها ولكنه إنما أشار إلى ما في خلق العالم من آثار القدرة والعلم والإرادة ببيان عجيب يفهمه على ظاهره البدوي الساذج في القرن السابع ويفهم أسراره رجل العلم في القرن الواحد والعشرين، وفي هذا يتجلى إعجاز القرآن لا في بلاغته وحدها لأن الإعجاز البلاغي إنما يدركه العرب وأرباب اللغة والفصاحة والقرآن خطاب للناس كافة وإلى هذا الضرب من الإعجاز أشار العليم الحكيم بقوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)[3]، وقد تحقق وعد الله تعالى واراهم آياته في آفاق السموات والأرض وفي أنفسهم فتبين لهم أنه الحق والفوا في ذلك المطولات في بلاد الغرب، أما نحن المسلمون الذين كان لنا السبق والفضل[4]، في كشف الكثير من تلك الآيات عن طريق العلم قصرنا في هذا الجانب وتركنا وراءنا اللب وتمسكنا بالقشور في حين أن الأمم تتقدم والعلوم تتنازع في الكشف والاختراع وكلما استكملت الآلات البحث ظهرت حقائق جديدة حتى كأنه غاية لا يزال عقل الإنسان يطمح إليها وكأن تلك الآلات حينما تتوجه إلى السماء والأرض فكأنما تتوجه لآيات القرآن أيضاً (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[5]،وانطلاقاً من هذه الحقيقة، جاء البحث الحالي ليدعو المسلمين لأن يتجهوا إلى هذا الجانب من القرآن الكريم وان يطلعوا على ما أودعه الله فيه من الأسرار والحكم والإعجاز وأن يستخدموه بوصفه سلاحا بوجه كل من يقول أن الإسلام يتعارض مع التطور العلمي والتقنية الحديثة. وقد قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، تناول الفصل الأول الموضوعات الاتية:

1. توضيح مفهوم الآيات الكونية والغاية منها وأهم المقاصد التربوية والأغراض التي ذكرت من أجلها.

2. وجوب النظر والتدبر في الآيات الكونية وضوابط التفسير العلمي لها.

3. بعد بيان المقاصد التربوية للايات الكونية في الفصل الاول تم استعراض هذه الايات المعجزة في الفصلين الثاني والثالث .

حيث تناول الفصل الثاني الآيات السماوية وما ورد فيها من تفسيرات علمية. وتناول الفصل الثالث الآيات الأرضية وأهم الظواهر التي سخرها الله سبحانه وتعالى لجعل الأرض صالحة للحياة.

مع العلم أنه لم يتم استعراض جميع الآيات الكونية الموجودة في القرآن الكريم، وإنما فقط الظواهر الموجودة في الكون والآيات الكريمة التي تحدثت عنها وتمت موازنتها بما ورد من تفسيرات علمية بشأنها.

الفصل الأول

الآيات الكونية

هي كل ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي تصف المظاهر التي أودعها الله في هذا الكون لخدمة الإنسان وتتجلى هذه المظاهر في خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وعالم النبات وعالم الحيوان والأجرام والأفلاك والكواكب والمياه والأنهار والبحار وما أودعه الله في الإنسان من الأعضاء والأجهزة والأسرار قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[6].

المقاصد التربوية لذكر الآيات الكونية:

عندما ندقق النظر في أجزاء الكون وفي الأنظمة المتعددة المتداخلة مع بعضها والموجودة في كل كائن من المخلوقات سنجد مدى روعة الدقة والتنظيم والتخطيط فيها كذلك في أجزاء أجسادنا وفي الماء الذي نشربه وفي الطعام الذي نتناوله وفي الهواء الذي نستنشقه، فهذه الأمور كلها تبرهن لنا بأن هذا الكون لم يخلق عبثاً وأن وراءه خالق ومدبر أوجد فيه هذا النظام البديع ويلفت القرآن نظر الإنسان في كثير من آياته إلى خلق الكون وخلق كل شيء فيه بقدر وحكمة وناقوس معين، وإلى أن الإنسان

مخلوق قصداً وغير متروك سدىً خلقه الله ليكون خليفة في الأرض ووهبه من الطاقات المكنونة ما يتمكن به من القيام بالأعباء والواجبات المفروضة عليه، ففي المشهد الكوني العظيم الذي ينطق بآيات القدرة المبدعة التي تكشف عن دقة التنظيم والتقدير والتي تكشف عن قدرة الخالق العليم وعمق هذا الجمال في تكوينه تبرز غاية التكوين والتي تتمثل في تسخير كل الكائنات لخدمة هذا المخلوق الذي استخلفه الله في الأرض ليعمرها[7]. وأهم المقاصد التربوية التي ذكرت من أجلها آيات الكون هي:

إثباتها للحقائق الإلهية:

فأهم الحقائق الإلهية التي جاءت الآيات الكونية لإثباتها هي:

1- إثبات وجود الخالق:

فقد اهتم المفسرون بربط الآيات الكونية بمسألة (وجود الخالق) سبحانه كما اهتموا بربطها ببقية المقاصد والأغراض وإذا عدنا إلى نصوص القرآن الكريم نجده قد استدل بعناصر الطبيعة وظواهر الكون الحية والصامتة على وجود الخالق الحكيم ونجده قد لون هذا الاستدلال فكان يجمله تارةً ملفتاً نظر الإنسان إلى الضخم من عناصر الطبيعة كالسموات والأرض وما لابسَ ايجادهما في الحق، ونجده في آيات أخرى يفصل في ذلك الاستدلال فيستعرض لنا نعم الله الكثيرة في السموات والأرض ويبصر الإنسان بها و تارة أخرى إلى سنن الله في الكون ويجعلها مدار لتصحيح فكري كبير يقوم على إثبات الخالق والدلالة عليه.

نجده في أحيان أخرى يهتم بعناصر الكون الحية من طير وحيوان ملفتاً النظر إلى ما هي عليه من فطرة وإلهام ويجعل ذلك كله دليلاً على وجود الخالق القادر وإثبات هذا الوجود، يقول محمد عبده بهذا الصدد (للإسلام في الحقيقة دعوتان دعوة إلى الاعتقاد بوجود الخالق وتوحيده ودعوة إلى التصديق برسالة محمد (ﷺ)، فأما الدعوى الأولى: فلم يعول فيها إلا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه إلى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع إلى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الأسباب والمسببات ليصل بذلك إلى أن للكون صانع واجب الوجود وذلك الصانع واحد لوحدة نظام

الكون[8]. قال تعالى (سنريهم اياتنا في الافاق و في انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق...) فصلت :53

2- الدلالة على التوحيد:

انَ مسألة توحيد الخالق سبحانه من أخطر المسائل التي جاء بها القرآن هي أخطرها جميعاً فالقرآن نزل في وقت أولع فيه أهل الأرض بعبادة آلهة متعددة معظمها من عناصر الطبيعة كما تخبرنا بذلك الأساطير القديمة، فكان لابد له من تغيير مفاهيم الشرك ونقل الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد مع العلم أن العرب لم يكونوا ينكرون الإله بل كانوا يعتقدون بوجوده مدفوعين بالفطرة البشرية التي لا تتخلى إلا في حالات شاذة عن الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون ولكنهم كانون يشركون معه آلهة أخرى يتوجهون إليها بالعبادة لتقربهم إلى الله زلفى، وقد اهتم القرآن بالتدليل على وحدانية الله بخلق السموات والأرض والذي كان المشركون يسلمون به ولا ينكرونه كما يبدو ذلك من كلامهم في مواضع كثيرة من القرآن، لذلك كان القرآن يخاطبهم بمسلمات في أمور الطبيعة ويبين لهم أنهم إذا يعترفون بأن الله هو خالق السموات والأرض لا يشاركه في ذلك أحد فكيف إذاً يشركون بعبادته غيره ثم أنهم إذا سلموا أن الله خالق السموات والأرض فإن هذه الآلهة التي يعبدونها في جملة ما هو مخلوق، أما في الأرض أو في السماء فكيف يعبدونها من دون الله وهي مخلوقة ولا يعبدون الخالق الذي كونها[9].

ومن أمثلة هذه الآيات قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)[10]. قال الزمخشري: (فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن توحيد الله ويشركون به غيره مع إقرارهم بأنه خالق السموات والأرض[11].

3- تنزيهه عن الولد:

وقد اهتم القرآن بالرد على فريه اتخاذ الله للولد تلك التي قال بها اليهود والنصارى وعرب الجاهلية، لذلك نجد القرآن الكريم لم يسكت على هذه الافتراءات وإنما راح يفندها ويرد عليها مستدلاً بما في الكون من آيات وحقائق تنفي هذه الفريه قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ)[12]، فقد استدل القرآن على عدم اتخاذ الولد بإبداع الله للسموات والأرض وإيجادهما على غير مثال يحتذى به مع حالهما من ضخامة حسية فضلاً عن خلق العالم، فالذي خلق الأجرام العظيمة هو مالكها والمسيطر عليها لذلك فأنه ليس بحاجة إلى ذلك الولد الذي هو فيما يفهم الناس ويتعارفون عليه بمقام الوارث لأبيه والعون له والإله هو الوارث لكل شيء وهو الغني عن كل عون إذ أن قدرته شملت كل شيء وتجلت في كل شيء، كما استدل القرآن على نفي الولد بإبداع السموات والأرض فأنه استدل على ذلك أيضاً بملكيتها[13]، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[14]، وفي مقام آخر جمع بين الاستدلال الأول والثاني فقال: (وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[15].

4- الدلالة على عظمته وقدرته ورحمته وتدبيره وحكمته وعلمه:

أ- الدلالة على عظمته:

انَ الكون وما فيه من آيات أكبر شاهد على عظمة الله وقدرته، ولكن الإنسان قد ينسى ذلك لطول التكرار، ولأن ما يراه قد أصبح مألوفاً له فلم يعد يشعر به، وقد تحدث القرآن عن عظمة الله التي يشهد لها الكون، ولعل أظهر تصوير لهذه العظمة الإلهية ذلك المشهد العظيم من مشاهد يوم القيامة حيث تكون الأرض في قبضة الله تعالى وتحت سلطانه والنجوم والأفلاك والكواكب مطويات بيمينه بفعل عظمته وتناهي قدرته اذ يقول تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[16].

ب- الدلالة على قدرة الله ورحمته وتدبيره:

انَ مظاهر الكون وعناصره شواهد حية على قدرة الله التي لا تحد بحدود، فتعاقب اليل والنهار واختلافهما بذهاب أحدهما ومجيء الآخر بحيث لا يفتران عن عملهما ولا يكلان عن تخالفهما بل يسيران وفق ناقوس منظم وتقدير محكم لبرهان جلي على قدرة

الله المتصرفة في الكون، وكذلك يتجلى ما يدل على قدرة الله وما يدل على رحمته في سياق واحد على التسيير في البر والبحر ومن رحمته في الانجاء من ظلماتهما ومخاوفهما وما يلابس المسافرين فيها من كرب وضيق اذ يقول تعالى: (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) الأنعام/63-64. فقدرة الله في التسيير في البر والبحر لا تفترق بحال عن رحمته في الانجاء من أحوالها ومخاوفهما وهو بالضبط ما دلت عليه الآية الكريمة[17].

جـ- الدلالة على حكمته سبحانه:

لقد عبر القرآن الكريم عن حكمة الله تعالى في خلق السموات والأرض بالحق ودليل ذلك أنها خلقت جميعاً لمقصد سامٍ وهدفٍ عالٍ وحكمة عظيمة، وأنها لم تخلق عبثاً أو لهواً وإنما خلقت للتأمل والتفكر والتدبر ومعرفة عظمة الله سبحانه وقدرته وحكمته في خلقه، فضلاً عن فائدتها المادية التي لم يحرم منها الإنسان[18]، وقد تكرر الحديث عن ذلك في أكثر من موضع فمن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ). الأنبياء/16-17.

د- الدلالة على علم الله سبحانه:

لقد عبر القرآن الكريم عن علم الله واحاطته بالكليات والجزئيات بأساليب وصور متباينة وكان للكون دوره البين في ذلك.

ولعل أبين هذه الصور الدالة على شمول علم الله تلك الصورة الرائعة التي شملت الكون كله ببره وبحره ورطبه ويابسه وحيه وجامده والتي تتجلى في قوله تعالى: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) الأنعام/59.

ففي هذه الآية ألوان من علم الله الشامل للكون علم يحصي الآفاق الواسعة والأغوار القصية في جسم الكون المنظور وغير المنظور، فالآية الكريمة جمعت ألوان شتى من

علم الله الشامل لكل ما في الكون، ودلت على احاطته بكل شيء كبيراً كان أو صغيراً[19].

وجوب النظر والتدبر في آيات الكون:

لقد جاءت آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الكون مرتبطة بالحث على النظر والتدبر فيما خلق الله في هذا العالم الذي نعيش فيه من آيات تدل على عظمته وإعجازه لبني البشر التي لا يملك من يتدبرها ويعرف أسرارها إلا أن يسلم بأن الله هو الخالق الواحد لهذا الكون، ومن الآيات التي تحث على النظر والتدبر في خلق الله هي قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) العنكبوت/20. وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) ق/6. وقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) الشعراء/7-8. وقال تعالى: (انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). الأنعام/99.

وكان القرآن في هذه الآيات وغيرها يدعو الناس إلى اكتشاف الحقائق والوصول إلى أسرار هذه الآيات عن طريق العلم التجريبي والاكتشاف العلمي الذي بدأه المسلمون في عصور الحضارة الإسلامية الماضية ثم أخذه الغربيون عنهم و استعملوه بتوسع، وكان أساس الثورة العلمية التي نعيشها في هذا العصر[20]، والتي زرع بذورها المسلمون، قال تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) الغاشية/17-20.

وقد وجه القرآن الكريم في هذه الآية النظر إلى ظواهر معينة وهي (الإبل و السماء و الجبال و الأرض) بكلمة (كيف) وهي ذات دلالة بارزة في هذا المجال، إذ أنها تدعو للنظر في (كيفية) الخلق والنظر في (الكيفية) يعني الحصول على (ثقافة علمية) في الجيولوجيا والبايولوجيا وغيرها من العلوم أي يجب أن يكون النظر علمياً تجريبياً.

وفي آيات أخرى نرى القرآن الكريم يذم الذين لا ينظرون في آيات الله في السموات والأرض ولا يتدبرونها[21]، اذ يقول تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) يوسف/ 105وقد وعد القرآن الكريم بالكشف عن المزيد من آيات الله في النفس وفي الآفاق وأخبر أن هذا الكشف والبيان سيتحقق في مستقبل البشرية حيث يقول تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) فصلت/53.

ويجب الانتباه هنا إلى حرف السين في كلمة (سنريهم) لأن معناها المستقبل، والمستقبل هنا لا ينتهي بل أن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذي بعده والذي بعده إلى يوم القيامة، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أن هناك حقائقا وآيات سيُكشف عنها لكل جيل ولكن هذا ليس معناه أن نحمل معاني القرآن أكثر مما تحتمل وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلوم الدنيا، فالقرآن لم يأت ليعطينا أسرار علم الفلك أو علم الفضاء أو غيرها من العلوم ولكنه كتاب هداية بالدرجة الأولى وما وضع فيه من الآيات الكونية والحقائق العلمية، إنما وضع لكي نرد به على الذين يحاربون هذا الدين حتى يوم القيامة، ومن هنا فإن آيات الكون الكبرى التي أنبأنا الله بها في القرآن والتي نعرف بعضها وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن أراد الله سبحانه وتعالى منا أن نفحم بها أولئك الذين يقولون انتهى عصر الإيمان.. وبدأ عصر العلم ويقول لنا فيها أن العلم الذي يحاول بعض المضلين أن يتخذوه إلهاً جديداً هو من علمي ومن خلقي فلا تعبدوا المخلوق وتتركوا الخالق، لذلك يجب أن ننتبه إلى نقطة مهمة وهي أن لا نتخذ من العلم دليلاً على صحة القرآن، بل أن القرآن هو الدليل الحقيقي على صحة أو عدم صحة العلم، فالعلم الذي يتناقض مع القرآن الكريم كاذب وغير صحيح[22].

ضوابط التفسير العلمي للآيات الكونية:

يتبين لنا مما سبق أن هناك أمور وضوابط يجب أن نراعيها عندما نقوم بتفسير أية لظاهرة كونية مذكورة في القرآن، وفقاً لما جاءت به الحقائق العلمية والمكتشفات الحديثة التي تتعلق بنفس الظاهرة.

فحتى لا نخطئ في فهم المضامين العلمية للآيات لابد أن نفرق بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية (فالنظرية العلمية) عادةً تقوم على افتراض أو تخمين، فهي بذلك تحتمل الصحة والخطأ وهذا أخطر ما يمكن أن نواجهه عندما نقرن الآيات الكونية بالعلم الحديث وذلك لأن بعض المفسرين والعلماء يندفعون في محاولة ربط كلام الله بنظريات علمية مكتشفة يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة وهم في اندفاعهم يحاولون إثبات القرآن بالعلم والقرآن ليس في حاجة إلى العلم ليثبت فالقرآن ليس كتاب علم ولكنه كتاب عبادة ومنهج، لذلك فلا يجوز تفسير الآيات الكونية ذات الإشارات العلمية بالنظريات، لأن من المحتمل أن المستقبل قد ينفي هذه النظريات أو يناقضها[23].

أما (الحقيقة العلمية) فهي ما صار حقيقة قاطعة وبديهية مقررة مما يتعلق بالكون والحياة والإنسان والتي لا يمكن أن تبطل أو تنقض مهما تقدمت العلوم والمكتشفات والمعارف وفي هذه الحالة لا مانع من أن نتوسع في معنى الآيات القرآنية التي توحي بتلك الحقائق العلمية ونشير إليها لأننا على يقين من صدقها.

لذلك لابد من الالتزام بضوابط علمية منهجية عند التفسير العلمي والقول بالإعجاز العلمي حتى لا نقع في غلو ومبالغة وإفراط وتفريط وحتى لا نحمل الآيات ما لا تحتمل وحتى لا نحرف معناها أو نشط في تفسيرها وحتى لا نخطئ في فهمها وتقديمها للناس وحتى لا يتناقض القرآن مع حقائق العلم وبديهياته.

فمجال القرآن هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية ووظيفته هي أن ينشئ للإنسان تصوراً عاماً للوجود الإنساني وارتباطه بالله ومادته الأساسية هي الإنسان ذاته، أما الإبداع العلمي والمادي فقد تركه سبحانه لعقل الإنسان وتجاربه ونظرياته[24].

ويمكن تلخيص الضوابط المنهجية للتفسير العلمي والإعجاز العلمي بما ذكره[25] الدكتور مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن) وهي:-

1. الاعتقاد بأن القرآن كتاب هداية بالدرجة الأولى وليس كتاب علوم وكونيات.

2. ترك الإفراط والتفريط عند النظر في الآيات الكونية.

3. الوقوف على مرونة الأسلوب القرآني في التعبير عن المضامين العلمية بحيث يحتمل ذلك الأسلوب وجوهاً في التأويل.

4. الاكتفاء بالحقائق العلمية مناط الاستدلال وعدم الاستدلال بالنظريات والفرضيات العلمية.

5. عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة بل إبقاء دلالتها مفتوحة تحتمل كل ما يتفق مع معناها.

6. اليقين باستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية.

7. الاخذ بالمنهج القرآني في طلب المعرفة بالنظر في الآيات الربانية في الكون والنفس والآفاق والوقوف على سنن الله في ذلك.

الفصل الثاني الآيات السماوية

من المعروف علمياً أن الكون أخذ شكله الحالي خلال أزمان وآماد طويلة سحيقة في القدم ولم يستطع العلم تحديد مدتها على وجه الدقة والضبط، والقرآن الكريم أشار إلى الفترة التي استغرقها خلق السموات والأرض في آيات عدة وهي تؤكد عظمة الله وقدرته في إيجاد الأشياء من العدم خلال الفترة التي يشاؤها، ومما هو واضح أن الله تعالى لا يحتاج إلى فترة زمنية لإيجاد الأشياء، وإنما ذكر الزمن استئناساً للبشر في التصبر على أداء العمل واتقانه وأن طال به الزمن لأن الله تعالى إذا أراد أن يخلق شيئاً فإنما يقول له (كن فيكون)[26].

وقد شاءت قدرته سبحانه أن يخلق السموات والأرض وقد ذكر القرآن الكريم عدد السموات والأرض مقروناً بالرقم سبعة في عشرات من آياته، وفي القرآن يعود الرقم

سبعة على السموات بمعناها الصرف اذ يقول تعالى: (فسواهن سبع سموات) البقرة/29، تامات الخلق والتكوين[27].

والمهم في كل هذا أن الله سبحانه قد خلق هذا الكون وأبدع فيه ما يفوق تصور الإنسان من العوالم التي لا يعرف الإنسان منها إلا القليل وأخفىالكثير مما لا يعلمه إلا هو سبحانه وقد اختار من هذا الكون السموات السبع و منها السماء الدنيا واختار من مجرات السماء الدنيا مجرة (طريق التبانة) واختار من هذه المجرة مجموعتنا الشمسية التي تتكون من الشمس والكواكب السبعة التابعة لها واختار من هذه الكواكب كوكب الأرض واختار من جميع مخلوقات هذا الكون العظيم الإنسان لكي يكون خليفة على هذه الأرض وسخر له كل ما في هذا الكون لخدمته وراحته وبالمقابل طلب منه أن يسعى في هذه الأرض ليعمرها ويصلحها وفي الوقت ذاته طلب منه أن ينظر في هذا الكون وفيما خلق الله له من آيات عظمته وسلطانه والتي تبدأ من السموات وما ورائها من عوالم الغيب وتنهي بالأرض وما فيها من الكائنات التي تدل على بديع صنع الله والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في العديد من آياته الدالة على قدرته وأسماها العلماء بالآيات الكونية وهي تبدأ من السموات التي يقول تعالى فيها: (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ..) الملك/3. وقال: (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا) النازعات/27-28. وقال: (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا) الأنبياء/ 12. وقال: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) ق/6. ففي هذه الآيات وغيرها يصف الله سبحانه وتعالى سعة السماء وعظمتها والتي تدل بلا شك على عظمة خالقها وجبروته لذلك نجد القرآن الكريم قد ذم الكفار حيث قال: أفلم ينظروا حين كفروا إلى قدرة الله في خلق هذا العالم ورفع السموات بغير عمد وجعلها ملساء سليمة من العيوب لا صدع فيها ولا خلل كما جاء في قوله تعالى: (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ).

وقال وبنينا فوقكم سبع سموات شديدة محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان[28]، إلى غير ذلك من التفسيرات والتأويلات فبماذا يمكن أن يتحدث الإنسان

عن سعة السماء؟ إن السعة التي عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر في العصر الذي نزل به القرآن وقد ورد عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (أتدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمس مئة سنة ومن سماء إلى سماء خمس مئة سنة وكنف كل سماء خمس مئة سنة وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والله فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم)[29].

والملاحظ من الحديث الشريف أنه (ﷺ) تعمد جعل كلمة (السنة) اصطلاحاً يتضمن المعنى المطلق وهذا من إعجاز كلامه (ﷺ) حيث أنه علم من خلال الوحي أن هناك زمناً كالذي نحن فيه يشهد أهله قياس مسافات السماء بالسنين والتي يصطلح عليها اليوم مقياس (السنة الضوئية)[*].

والسماء الأولى رغم ضخامتها وبعد مدها وأفقها قد أطلق عليها القرآن صفة (السماء الدنيا) فكيف بأمر السماوات التي نعتها سبحانه بقوله (السماوات العلى) وهي على ضخامتها فهي ليست كل الكون، بل أنها تبدو جد ضئيلة عندما تقارن مع كائنات أخرى كما جاء في حديثه (ﷺ) قوله: (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)[30]. رواه ابن جرير.

بعض الظواهر العلمية التي تتعلق بالسموات:

1- توسع الكون:

ومع كل هذه السعة في السموات وما بعدها فإن الكون في توسع مستمر اذ يقول تعالى: (والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون) الذاريات/47.

والمراد بالسماء هنا هو الكون خارج الأرض وهذه الآية تتحدث بدون غموض عن (توسع الكون) والذي هو أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث وهذا المفهوم قد ثبت تماماً في الوقت الحاضر والأبحاث لا تعالج الآن إلا النموذج الذي يتم به هذا التوسع.

2- رفع السموات بغير عمد:

خلق الله السماء منفصلة عن الأرض وهي لا تقع فوقها رغم رفعها، رفعها بدون عمد قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) الرعد/2. فكيف يحصل هذا التوازن لاشك أنه بقدرته تعالى فمن المعروف علمياً في العصر الحديث.

إن ابتعاد الأجرام السماوية على مسافات عظيمة ومتناسبة طردياً مع كتلة الأجرام نفسها يشكل أساس توازنها فكلما تباعدت الأجرام وهنت قوة جذب كل منها للأخرى، وكلما تقاربت كان لكل منها تأثيراً على الأخرى، فالقمر مثلاً لقربه من الأرض يؤثر على حالة البحر فيحدث فيه المد والجزر نتيجة للجاذبية[31].

فسِرُّ استقرار هذا الكون وعدم سقوط السموات على الأرض وعدم تصادم الأجرام مع بعضها البعض هو هذه الجاذبية التي أودعها الله في الأجرام بشكل يجعلها مستقرة في مكانها.

السماء الدنيا:

وهي اسم لكل ما علا وارتفع فوق رؤوسنا وعلى هذا النحو استخدم القرآن الكريم هذا اللفظ الذي قصد به تارةً الغلاف الهوائي المحيط بالأرض وتارةً قصد به ما علا هذا الغلاف من الأجرام والكواكب والمجرات والذي اصطلح على تسميته الفلك.

الفلك:

هو مجموعة المجرات والاجرام السماوية والكواكب والنجوم الضاربة في أعماق الفضاء وقد جعل سبحانه وتعالى كل جرم سماوي بمثابة لبنة في هذا البناء الشامخ وهذه الأجرام مرفوعة بعضها فوق بعض وهي تعادل قوتين هما القوة الطاردة المركزية الناجمة عن دورانها وقوى الجاذبية أو رباط الجاذبية العالمية وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: (كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يس/40. فكل المجرات تسبح بانتظام في الفضاء المترامي الأطراف في مساراتها إلى ما شاء الله، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تقدم لنا معلومات عن علم الفلك وهذه المعلومات الفلكية لم تكن متفقة مع النظريات الفلكية السائدة في عصر نزول القرآن واختلاف معلومات القرآن عن تلك المصادر يدل

على أن القرآن لم يستخدمها وأنه ليس من كلام البشر وأن معلومات القرآن الفلكية فوق المستوى العلمي والفلكي للعرب وللعالم في ذلك العصر، فمن أين أتى محمد (ﷺ) النبي الأمي بتلك المعلومات التي فاقت مستوى عصره؟ والتي لا تتعارض مع العلم الحديث؟ لاشك أنها من عند الله خالق هذا الكون والعالم بما فيه من أسرار فسبحانه وتعالى عما يصفون، ومن أبرز مظاهر الفلك:

النجوم:

ولعل أروع ما ورد في القرآن الكريم خاصاً بالنجوم هو قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) الواقعة/75-76. فمواقع النجوم تفوق حدود الوصف والخيال وكلما عرف الإنسان وسائل تمكنه من رصد مسافات أكبر كلما اتسعت أمامه آفاق الكون وقد تحدث القرآن الكريم في الكثير من الآيات عن النجوم ومن هذه الآيات هو قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) النجم/49. والشعرى أشدّ نجوم السماء بريقاً ويمكن بواسطتها التعرف على الاتجاهات والشعرى اليمانيه في الجنوب الشرقي وهي من الكواكب التي يضرب بها العرب الأمثال وغيرها الكثير الكثير من النجوم التي استخدمها العرب وغيرهم لمعرفة الطرق والاتجاهات في الصحارى والبحار مصداقاً لقوله تعالى: (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) النحل/16. وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) الأنعام/97.

أما قوله تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) النجم/1. فالمعنى الذي أوردته كتب التفسير لهذه الآية هو غروب النجم أو سقوطه إلى أفق الأرض وربما يكون المراد من الآية الشهب والنيازك وهي عبارة عن أجسام تسبح في الفضاء الخارجي فإذا ما دخلت جو الأرض أحمر لونها ثم أبيض من عظم الحرارة التي تتولد بالاحتكاك مع الهواء[32].

وعدد النجوم في الكون يقدر بالمليارات وآخر ما توصل إليه العلم أن هناك ثلاثين مليار نجم ومن ضمنها مجرتنا التي ورائها عالم يفوق الوصف في السعة، وهذا العالم أطلق عليه الفلكيون اسم السدم وجمعها سديم والتي رأوا منها لحد الآن خمسمئة ألف سديم ويتوقع العلماء أن يصل ما يرون منها إلى مليون سديم مصداقاً لقوله تعالى (وَإِنَّا

لَمُوسِعُونَ) الذاريات/47. وأقرب نجم إلى الأرض يبعد عنا أربعة عشر سنة ضوئية وهناك ما يبعد عنا ثلاثين سنة وخمسين سنة وهناك نجوم تبعد عنا ألف سنة ضوئية ووراء المجرة التي تقع فيها مجموعتنا الشمسية هناك سدم منها سديم (المرأة المسلسلة) الذي يبعد عنها مليون سنة ضوئية[33].

وما هذه النجوم إلا شموس تشبه شمس مجرتنا وقد تفوق حجم الشمس بمئات المرات وبعضها أكبر منها بآلاف المرات ولكنها تبدو صغيرة هكذا لبعدها الشاسع عنا[34]، وهذه النجوم لها فوائد عديدة والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ) الصافات6-7. فقد ورد عن ابن عباس قوله بزينة الكواكب أي بضوء الكواكب[35]، وقال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ) الملك/5. فالزينة مقصودة للناظرين المفكرين والباحثين المفسرين ومع الزينة الحفظ وابتغاء لقوله تعالى: (وحفظاً من كل شيطان..) وقوله (رجوماً للشياطين...) حتى لا ينالها ولا يدنسها الشياطين وينفثُ فيها من رجسهم وغوايتهم[36]، قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها ومن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف[37].

الشمس والقمر وظاهرة تعاقب الليل والنهار:

الشمس: إن الشمس جرم سماوي مستقر شأنها شأن سائر النجوم ويزيد قطرها على المليون كم وتصل درجة حرارتها إلى 12 ألف فهرنهايت وتزداد هذه الحرارة بازدياد القرب من المركز حيث تصل إلى 20 مليون درجة وتندلع منها نافورات من غازات ملتهبة تصل ارتفاعاتها إلى 50 ألف كم[38]. ولا يمكن أن توجد حياة على ظهر هذا الكوكب الذي تعيش فيه لولا الشمس فهي التي تمدنا بالحرارة والضوء كما أن ضوء الشمس كما هو معلوم عامل أساسي في تركيب الغذاء من قبل النبات[39]، وهذه الشمس ما هي إلا واحد من مجموعة الكواكب السيارة فهي إذاً شأنها شأن بقية الكواكب في حركة دائبة لا تفتر عنها حيث يقول تعالى في محكم كتابه بشأنها: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يس/38. وقد ورد في قراءة ابن مسعود لهذه الآية

قوله (والشمس تجري لا مستقر لها...)، أي لا تزال تجري لا تستقر[40]، ولما كانت الشمس تجري فهذا يعني أن مجموعتها وهي الكواكب التابعة لها ومن جملتها الأرض تجري أيضاً، إذ لا يعقل أن الشمس تجري والأرض تظل واقفة في مكانها ولو أن هذا الأمر حصل لكنا فقدنا حرارة الشمس وضوئها منذ وقت بعيد ولهلك كوكبنا بجميع ما فيه، ولو عدنا إلى الآية الكريمة وإلى قوله تعالى: (والشمس تجري) نجد أن التعبير بكلمة (تجري) فيه حكمة عظيمة لأنه لو قال (والشمس تدور) فهذا يعني أن الأرض ثابتة والشمس تدور حولها وهو غير صحيح وأن بدا في ظاهره صحيح لأن الشمس تدور فعلاً ولكن حول محورها وفي نفس الوقت تشارك مع بقية الكواكب في دوران المجرة التي تقع فيها ومن هنا نلاحظ أن لفظة (تجري) هي أنسب تعبير عن حال حركات الشمس حيث أن (الجري) يتضمن الدوران حول المحور وكذلك الحركة الأخرى مع المجرة[41].

أما القمر فهو أقرب أجرام السماء إلى الأرض وهو تابع لها ويدور معها ومثلها من المغرب إلى الشرق وهو يدور حول نفسه وحول الأرض في نفس الوقت ومن بدائع صنع الخلاق الحكيم، أن القمر في دورانه الذي يقطعه خلال شهر يقطع في كل يوم 13 درجة ويتأخر كل يوم 49 دقيقة نحو الشرق ليكشف لنا عن جانبه المنير كشفاً متدرجاً يبدأ به هلالاً ثم بدراً ثم يرجع كالعرجون القديم مرة أخرى حتى يختفي ويطلع بعد 29 يوم و 8 ساعات هلالاً جديداً نعرف به عدد السنين والحساب[42]، ويصف هذه الظاهرة أو الحالة قوله تعالى في سورة يس (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) يس/39. والعرجون هو فرع النخل القديم اليابس الذي لا خضرة فيه ولا ماء ولا حياة وهو تشبيه حرفي لسطح القمر الذي كشف عنه العلم الحديث حيث وجده عبارة عن سطح من الأحجار لا خضرة فيه ولا ماء ولا حياة[43].

والقمر هو المسؤول عن ظاهرتي المد والجزر في البحار لذلك جعله الله سبحانه وتعالى يسير وفق نظام متزن لا يتغير لأنه لو حصل أي خلل واقترب من الأرض أكثر مما هو عليه الآن لزاد جذبه لمياه البحر حتى عم الفيضان ولو اقترب أكثر من

ذلك لجذبته الأرض فوقع فوق سطحها ولو ابتعد عن الأرض أكثر مما هو عليه لتعطل عمل المد والجزر لقلة الجذب ولفسدت بذلك أعماق البحار والمحيطات وذلك لأن عملية المد والجزر تعمل على تقليب المياه مما يسمح بدخول الهواء إلى الأجزاء السفلى من البحار والمحيطات وبذلك تتزود الأحياء بالهواء ويمتنع فساد قيعان البحار والمحيطات[44].

الفرق بين الشمس والقمر:

لقد فرق القرآن بين الشمس والقمر في قوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا) الفرقان/61.

ولو عدنا إلى الشمس والقمر انطلاقاً من معنى هذه الآية لوجدنا أن العلم توصل إلى أن الشمس نجم ينتج باحتراقه حرارة شديدة وضوءً هما مصدر كل الحياة على هذه الأرض، أما القمر فهو ليس مضيئاً بذاته بل هو يعكس الضوء الذي يستقبله من الشمس وهذا التفريق بينهما لم يكن معروفاً في عصر التنزيل، كما أنه لا يتناقض مع العلم الحديث فالشمس سراج وهاج والقمر منير والفرق بينهما واضح[45].

ظاهرة تعاقب الليل والنهار:

من الظواهر التي ألفها الناس هي ظاهرة تعاقب الليل والنهار ونحن مطالبون بالبحث عن علة ذلك كما يقول القرآن الكريم (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) عمران/190. وقوله تعالى: (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) الزمر/5. فهذه الآية مثلاً لا يمكن تفسيرها إلا بأن نتصور أن الأرض كروية والليل والنهار كنصفي الكرة ينزلق الواحد منهما على الآخر بفعل دورانها المستمر كما أن استعمال لفظ (يكور) هو استعمال غريب تماماً ويفرض علينا هذا التفسير فرضاً[46]، وبنفس المعنى يقول تعالى: (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) الحج/61. وقوله تعالى: (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) الأعراف/54.

وقال تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يس/40. فالحديث في هذه الآية وغيرهما عن قوانين الكون، فالشمس لا تدرك القمر لأنهما كما

قال العلماء يتحركان في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً وهذه حقيقة علمية ظهرت في السنوات الأخيرة وذكرها القرآن منذ 14 قرن، إذاً النهار لا يسبق الليل والليل لا يسبق النهار وهذا معناه أنهما يوجدان معاً في وقت واحد على الأرض وهذا لا يحصل إلا إذا كانت الأرض كروية، فعندما يتقدم الذهن البشري ويبحث كما أمره الله ويعرف معنى الآية سوف يجد أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بكل هذه الحقائق عن خلق الأرض على هيئة الكرة وخلق الليل والنهار معاً في بضع كلمات[47].

ولكن هل أن ظاهرة تعاقب الليل والنهار خلال أربع وعشرين ساعة ثابتة على كل الكرة الأرضية أم أن هناك مناطق لا تحدث فيها هذه الظاهرة كل يوم؟ إذا عدنا إلى العلم لوجدناه يقول أن محور الكرة الأرضية يميل وهي تسبح من حول الشمس[48]، وهذا يستدعي وجود مناطق لا تغيب عنها الشمس لعدة شهور وهي المناطق القطبية فهل ورد في القرآن الكريم شيئاً بهذا المعنى؟ إذا عدنا وتأملنا في آيات القرآن لوجدنا قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا) الكهف/90. وهذه الآية من سورة الكهف تتحدث عن ذي القرنين وفي هذه الآية لم يذكر سبحانه وتعالى سوى أن ذا القرنين قد وصل إلى قوم لم يجعل الله بينهم وبين الشمس ستراً، بعض الناس يمر على هذه الآية دون أن ينتبه إليها، ولكن العقل يجب أن يقف هنا ليسأل ما هي الحكمة في هذه الآية فإذا فكرنا فيها نجد أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن هناك قوماً لم يجعل لهم دون الشمس ستراً أي لا يوجد شيء يستر عنهم الشمس ولا شك أن ما يستر الشمس ويجعلها تختفي هو الظلام والمقصود بالظلام الليل فلا نجد أشعتها في أي مكان ومنها فإن معنى الآية أن ذي القرنين قد وصل إلى مناطق في الأرض لا تغيب عنها الشمس فترة طويلة أي أنه لا يتعاقب عليها الليل والنهار كباقي أجزاء الأرض بل تظل الشمس مشرقة عليها لفترة طويلة لا يسترها ظلام وإذا بحثنا الآن في الكرة الأرضية نجد أن هناك مناطق في العالم لا تغيب عنها الشمس 6 شهور في العام، فالشمس لا تغيب عن القطب الشمالي لمدة 6 شهور وعن القطب الجنوبي كذلك فكأنه سبحانه يريد أن يخبرنا بهذه الآية أن هناك

أماكن في الأرض لا تخضع لقواعد تعاقب الليل والنهار كالتي تخضع لها باقي أجزاء الأرض، وإنما تشرق الشمس عليها دون أن يسترها الظلام لفترة طويلة[49].

الفصل الثالث: الآيات الأرضية

بعد أن تجولنا في بدائع خلق الله في السماء لنعود وننزل إلى الأرض لنرى على ضوء القرآن والعلم ما في خلقها وتكوينها من آيات النظام والأحكام والاتقان والنعمة، فالأرض التي منَّ الله علينا بخلقها هي الكوكب الوحيد الذي جعله الله صالحاً للحياة فقربها من الشمس معتدل وحرارتها معتدلة وكثافتها تفوق كثافة سائر الكواكب الأخرى التي تدور حول الشمس، كما أن دورتها اليومية معتدلة وكافية لإحداث نهار وليل معتدلين صالحين للسعي والراحة كما أن دورتها السنوية التي أشار إليها القرآن الكريم بذكر الأمطار معتدلة أيضاً وصالحة لإرواء الزروع وانضاجها وهي تمتاز بالماء والهواء الصالحين للحياة.

ومن الظواهر التي سخرها الله سبحانه وتعالى لجعل الأرض صالحة للحياة ما يأتي:-

1- الغلاف الهوائي:

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) الأنبياء/32. ففي هذه إشارة واضحة إلى الغلاف الهوائي الذي يحيط بالكرة الأرضية والذي يبلغ ارتفاعه ألف كم وهو يحمي هذا الكوكب من كثير من الأمور التي قد تعيق الحياة عليه فهو مثلاً يحميها من الشهب والنيازك التي تسبح عبر الفضاء القريب المحيط بالأرض كما أنه يحميها من الأشعة الكونية الفتاكة والتي تقتل الخلايا الحية بلمح البصر كذلك يحميها من الأشعة فوق البنفسجية المحرقة التي ترسلها الشمس بوفرة، كما أن هذا الغلاف هو سقف الأرض الذي يحفظ أهلها ويبقي ما فيها من الضغط والحرارة الثابتة بمعزل عن الفضاء الكوني الذي قد يبدد هذا الضغط وهذه الحرارة وذلك لأن درجة حرارة الفضاء الكوني تقارب 270 درجة تحت الصفر المئوي ويعرف هذا الغلاف علمياً بأسم طبقة الأوزون، فلا عجب إذا رأينا القرآن الكريم يقسم بهذا الغلاف الحافظ[50].

حيث يقول تعالى: (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) الطور/5. والمراد به الهواء الممتد فوق رؤوسنا، كما أن من فوائد هذا الغلاف الجوي هو أنه يضيء أثناء النهار عن طريق تناثر أو تشتت ضوء الشمس فيه، وما الزرقة التي نراها في السماء إلا من ظواهر الضوء التي تحدث في جو الأرض فمن المعروف أن ضوء الشمس يتركب من ألوان تختلف في أطوالها الموجية ومن ضمنها الأزرق الذي يتميز بقصر طوله الموجي وكلما قصر الطول الموجي للضوء زادت قدرته على الانتشار والتشتت في الجو.

2- الجاذبية:

يقول تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا) النمل/61. ومعنى قوله تعالى (قراراً) أي مستقرة ولا يتحصل هذا الاستقرار إلا بوجود الجاذبية فلولاها ما كان لنا ولا لشيء على الأرض قراراً أبداً وعن طريق هذه الجاذبية احتفظ هذا الكوكب بطبقة من الهواء تسمح بالحياة ولو أفلت الهواء المحيط بالأرض من جاذبيته لما أمكن أن تقوم حياة على سطحه كما لم تقم حياة على سطح الكواكب الأخرى التي تضاءلت جاذبيتها فأفلت هوائها كالقمر مثلاً وهذه الجاذبية معتدلة تسمح بحركة الإنسان والأحياء وفي نفس الوقت تحفظ الأشياء والأحياء من التطاير والتناثر، ولو قلت هذه الجاذبية لقل معها الضغط الجوي ولو خف هذا الضغط عما هو عليه لانفجر الصدر والشرايين انفجاراً[51]، ومن الملاحظ أن الضغط الجوي في المناطق المرتفعة من الأرض يقل وهي ظاهرة معروفة حديثاً حيث نجد إننا نشعر بضيق في الأماكن المرتفعة ويزداد هذا الضيق كلما ارتفعنا في الجو وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)[52] الأنعام/125.

3- الرياح والسحب والصواعق:

يقول تعالى: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) الروم/48. ويقول سبحانه: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) الحجر/22.

يحدثنا القرآن في هذه الآيات عن الأثر العظيم للرياح في تكوين السحب وقد كشف العلم الحديث أن الرياح أثناء هبوبها إنما تلقح السحب لكي تجود بالمطر ومعنى التلقيح هنا هو إمداد السحب بشيئين هما (بخار الماء) اللازم للتكاثف وكذلك (جسيمات صغيرة مجهرية) تشبه مساحيق ملح الطعام أو الأكاسيد بأعداد كبيرة لا حصر لها، ونرى في الوقت الحاضر أن الهواء عندما يعجز عن تلقيح السحب الممطرة بنوى التكاثف هذه يقوم العلماء بتلقيحه صناعياً برش أكداس من جسيمات أو أبخرة (يودور الفضة) أو ملح الطعام...الخ لذلك نجد أن القرآن الكريم أول من تحدث بإعجاز باهر عن تلقيح الرياح للسحب تجود بالمطر[53] بقوله تعالى: (وأرسلنا الرياح لواقح...).

ولكن هناك نقطة مهمة في هذا الموضوع وهي أن هذا لا يعني أن باستطاعتنا صنع المطر وخلقه لأن القرآن الكريم قرر استحالة صنعه واستحالة خلقه حيث يقول تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) الواقعة/68-70. والعلم الحديث اعترف بعدم إمكانية إنتاج المطر واستحالة ذلك عليهم، أما يحدث من التلقيح الصناعي فأنه مجرد عامل مساعد على إسراع هطول المطر في سحابة تحتوي على سمات السحاب القابلة للهطول أما تكوين السحابة ذاتها فهو أمر مستحيل على البشر، فدور الإنسان كما قلنا هو التعجيل بعملية الهطول مستعيناً بالوسائل التقنية الملائمة[54].

ومن الظواهر التي ذكرها القرآن الكريم هي السحب الركامية حيث يقول تعالى في محكم كتابه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) النور/43. أن من يتمعن بهذه الآية يجد أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر فيها تفاصيل مذهلة عن خطوات تكوين السحب الركامية الممطرة التي تجود بالبرد والتي تحدث فيها الصواعق الرعدية والبرق الذي يصيب الطيارين بالعمى الوقتي وكذلك كل من ينظر إلى البرق عن كثب.

والسحب الركامية هي التي تنمو بالاتجاه الرأسي العمودي وربما سميت ركامية نظراً لتراكمها في طبقات بعضها فوق بعض ويطلق عليها (كيوميولس) من كيوميولت أي يتراكم، ومن مزايا هذه السحب أنها تمتد رأسياً إلى علو 5 كم أو أكثر وبذلك تظهر لمن ينظر إليها عن بعد كالجبال الشامخة، ويمكن تمييز ثلاث طبقات فيها هي الطبقة العليا وتتكون من بلورات الثلج والوسطى وهي خليط من الماء فوق المبرد وبلورات الثلج المتساقطة من أعلى تحت تأثير جذب الأرض لها والسفلى وأغلبها نقط نامية من الماء أو بلورات ثلج على أهمية السقوط إلى الأرض على هيئة زخات من المطر ورغم أن الإنسان لم يتوصل إلى هذه الحقيقة العلمية إلا بعد عشرات السنين نجد القرآن يقررها بكل بساطة من غير جدية أو ضوضاء ويمر المسلمون عليها مر الكرام وبدلاً من البحث عما فيها من الحقائق العلمية اكتفوا بتفسير معنى الألفاظ دون إدراك ما فيها من إعجاز علمي رائع.

ومن أظهر صفات هطول البرد حدوث الرعد والسحب الركامية النامية هي وحدها التي تتولد فيها عواصف الرعد وعندما ننظر إلى الآية الكريمة نجدها تقول: (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) أي سنا برقه البرد لأن البرد هو أقرب مذكور للضمير، ومن أظهر أقدار البرق الإصابة بالعمى الوقتي ولعل أكثر الناس تعرضاً لذلك الطيارين خصوصاً عند تحليقهم داخل السحب الركامية في المناطق الحارة فقد يحدث البرق بمعدل يصل إلى 40 تفريغ في الدقيقة وعندما يصاب الطيار بالعمى المؤقت الذي يعبر عنه القرآن بقوله تعالى: (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) يفقد سيطرته[55].

4- الماء وخواصه:

قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) الأنبياء/30. وهذا تقرير مطلق أعلنه القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرناً فهل كانت البشرية لدى تنزله تعلم يقيناً أن الماء هو قوام كل شيء حي وهل اكتشفت البشرية منذ ذلك الوقت وحتى الآن شيئاً يناقض تلك الحقيقة أي وجود أحياء لا علاقة للماء بحياتها والجواب بالنفي حتماً[56]، وهذا الماء الذي هو قوام كل الأحياء متوفر بالقدر الذي يريده الله سبحانه حيث يقول تعالى:

(وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) المؤمنون/18. وقد جاء في تفسير قوله تعالى (بقدر) أي بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون به إلى المنفعة أو معناه بمقدار ما علمناه من حاجتهم ومصلحتهم وقال (فاسكناه في الأرض) بمعنى فسلكه ينابيع في الأرض فاستودعها في الجبال وأجراها في الأرض وهو قادر على رفعه وإزالته من الأرض إذا لم يستعضم ويقيد بالشكر الدائم[57]. ومصادر الماء في الطبيعة ثلاثة فهو أما أن يأتي من المطر وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في الكثير من الآيات منها قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) النحل/65. وقوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) الحجر/22. وأما أن يكون مصدره المياه الجوفية التي تستقر في باطن الأرض وقد أشار إليها تعالى بقوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ) الزمر/21. ومن هذه الآية الكريمة يتضح لنا أن عيون الماء العذب على وجه الأرض يتم تزويدها بماء المطر حيث تتمون من الماء النازل من السماء في حين كان السابقون يظنون أن الينابيع والعيون تتمون بواسطة بحيرات جوفية فقرر القرآن أنها تتمون بمياه المطر[58]، أما المصدر الثالث للماء والذي هو أعظم المصادر وأعجبها لما حواه من الأسرار والعجائب والكنوز والذي يكون حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية هو الأنهار والبحار والمحيطات والخلجان يقول تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الجاثية/12. وقال: (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ) إبراهيم/32. وقد جعل سبحانه في هذه البحار والأنهار الكثير من الخواص الفريدة والتي تدل على مبدع هذا الكون العظيم. وللماء خواص فريدة في نوعها وتدل كلها على أن مبدع هذا الكون قد رسمه وصممه بما يحقق مصالح مخلوقاته وتتجلى هذه الخواص في مياه البحار بالذات وهي:

1- كثافته:

إن الماء هو المادة الوحيدة المعروفة والتي تقل كثافتها عندما تتجمد ولهذه الخاصية أهمية كبيرة بالنسبة للحياة إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء بدلاً من الغوص إلى قاع البحار والمحيطات وبذلك تتكون تدريجاً كتلة صلبة لا سبيل إلى إخراجها وإذابتها[59].

2- جاذبية القمر: قال الرازي في تفسيره :اهل التجارب بينو ان اختلاف احوال القمر في مقادير النور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ،مثل احوال البحار في المد و الجزر.قال تعالى (و القمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) يس:**39** ومن خواص ماء البحار والمحيطات هو مطاوعتها لجاذبية القمر التي تعمل على تقليب مياه البحار والمحيطات مما يوصل الهواء إلى الطبقات السفلى منها وبذلك يمنع التعفن وهو ما يعرف بظاهرتي المد والجزر[60].

3- البرزخ:

ومن عجائب صنع الله التي أودعها في البحار قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) الفرقان/53. وقوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) الرحمن/19-20. والبحرين هو اصطلاح للماء الكثير والماء الفرات هو العذب وعكسه الأجاج ومرجهما أي جعلهما متجاورين والبرزخ هو الحاجز (ولا يبغيان) أي لا يتجاوز ولا يبغي أحدهما على الآخر فمن قدرته سبحانه أنه جعل البحر الشديد الملوحة والماء العذب يجريان في مكان واحد ولا يختلط أحدهما بالآخر ولا يمتزج به وذلك لوجود حاجز بينهما لا يرى بسهولة وهو عبارة عن مجرئ مائي يفصل بين الماء العذب والمالح[61] وقد تمكن العلم في الوقت الحاضر من تحديد مكان هذا الحاجز والمياه التي يفصل بينها[62].

4- خصائص وفوائد أخرى:

كما أن لهذا السطح المائي العظيم الذي يغمر ثلاثة أرباع الكرة الأرضية مفرقاً بين القارات وظائف جمة، إذ بفضله تتم عملية تبخر الماء وصعوده إلى الجو لتكوين

المطر الذي هو قوام الحياة على الأرض كما أن ملوحته الشديدة تمنع فساده بما فيه من الحيوانات فيما لو كان عذباً كما أنه يرفع السفن العظيمة التي تجري فيه قال تعالى : (و من اياته الجوار في البحر كالاعلام) الشورى:32 . و قال سبحانه (..وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[63] فاطر:.2

5- الجبال:

قال تعالى: (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ) النمل/15. وقال (والجبال أوتاداً) النبأ/7. وهذه الآيتين تصف لنا أهم وظيفة خلق الله الجبال من أجلها ألا وهي توازن قشرة الأرض حيث أن الجبال تعمل على تماسك القشرة الأرضية وطبقاتها الصلبة المتراصة بعضها فوق بعض كما تمسك الأوتاد الخيمة وتشدها فالقشرة الأرضية في تغير مستمر بفعل عوامل عديدة مما يجعلها غير مستقرة وغير متزنة فتحدث من آن إلى آخر هزات في هذه القشرة فتتصدع وتتفجر منها البراكين، كما وأن الجبال تعد مخازن جبارة لكثير من المعادن كالحديد والنحاس والذهب وغيرها من وسائل الطاقة كالكبريت والفسفور[64]...الخ. وفي ذلك يقول تعالى: (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) فاطر/27. ومعناه أن من الجبال ما هو مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد وغربيب مفرد غرابيب ومنه الغراب لأنه أسود اللون[65].

ومن الملاحظ أن القرآن لا يكاد يذكر الجبال إلا ويذكر معها الماء والأنهار أو النبات ومن هذا نلاحظ أنه لولا هذه الجبال لما كانت الينابيع الدائمة والأنهار الدائبة التي تسقي الأرض طيلة أيام السنة ثم تصب في البحار[66].

قال تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) النمل/88. هذه الجبال إذا نظرنا إلى ضخامتها نعتقد أن الأرض ثابتة في مكانها لا تتحرك خطوة واحدة ولكن إذا أمعنا النظر في قوله تعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة...) نجد أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا أن هذه الجبال التي نراها أمامنا ونحسبها جامدة تتحرك من مكان إلى آخر ولذلك جاءت بلفظ (تحسبها) رحمه بالعقل البشري الذي يظن أن الجبال جامدة ولكنها في الحقيقة

(تمر مر السحاب) وقد شبهها بالسحاب لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة أي لا يتحرك بنفسه وإنما تحركه الرياح فالسحاب بدون ريح يبقى جامداً في مكانه، فالرياح هي التي تدفعها من مكان إلى آخر، ومن هنا فإن استخدام كلمة (السحاب) ينبئنا أن الجبال تتحرك ولكنها لا تتحرك بنفسها وإنما تابعة لحركة أخرى تدفعها تماماً كما تدفع الريح السحب وهذا المحرك الآخر هو الأرض وهذا دليل على أن الأرض تدور وإلا فكيف تقوم بتحريك الجبال وهي ثابتة ولأن حركة الأرض تكون متزنة وهادئة لا اهتزاز فيها فإننا لا نحس بالحركة وهذا هو صنع الله الذي اتقن كل شيء)[67].

عالم النبات والحيوان:

وتتجلى عظمة الله سبحانه وتعالى في أن العلم نفسه يقف حائراً مدهوشاً أمام هذه القدرة التي جعلت الأرض الواحدة تنبت أنواع مختلفة من النباتات حيث يقول العلماء أن العناصر التي تتألف منها كل النباتات معلومة وكلها تمتص غذائها من الأرض من تراب واحد وتسقى بماءٍ واحد وتتنفس هواءً واحداً فما هو السر الذي يجعلها تختلف بعضها عن بعض في الثمرات والأكُل ولاشك أن الإجابة على هذا السؤال هي قدرته سبحانه التي تقول للشيء (كن فيكون).

وهذا العالم برغم كل ما فيه من الزروع والثمار والنباتات نجد القرآن الكريم يقتصر منه على ذكر بعض الأنواع من النباتات دون غيرها وفي ذلك حكمه عظيمة تظهر لنا فيما يأتي:

قال تعالى: (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) عبس/24-32. لو تأملنا هذا النص نجد فيه أن القرآن اختار أنواع معينة من النباتات من بين الملايين من الأصناف وهذه الأنواع هي: (الحب، الزيتون، النخيل، الأعناب والرمان).

وخصها بالذكر من بين كل الثمرات التي ينتفع بها الناس ليشير إلى وجود القصد في خلقها، ولو رجعنا إلى العلم لنبين أنواع الأغذية الأساسية التي يحتاج إليها الإنسان

لوجدناها تتألف بصورة رئيسة من (المواد النشوية، وهي التي تستخرج من (الحبوب)، والمواد البروتينية، و سيأتي ذكرها في الأنعام، والمواد السكرية (الكاربوهيدرات) والتي تستخرج من (النخيل والأعناب والرمان)، أما المواد الدهنية، فتستخرج من الزيت في (الزيتون) فانظروا إلى عظمة الله التي خاطبت العرب في العصر السابق بأشياء يعرفونها و وجه إلى من وراءهم من الأقوام الذين علم بعلمه سبحانه أنهم سيأتون بعد أكثر من ألف سنة ليفهموا سبب ذكر هذه الأنواع بالذات وما ينطوي تحتها من عناصر التغذية الأولية الضرورية للإنسان، فضلاً عن الحيوان الذي خصه بذكر الأعشاب[68]، هذه إحدى معجزات الآيات الكونية التي تتعلق بالنبات، أما الإعجاز الآخر فيتجلى في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا) الأنعام/99. يقول تعالى في هذه الآية (فأخرجنا به أي (بالماء) نبات كل شيء) ثم يقول (فأخرجنا منه أي من (النبات) خضراً) ثم يقول (نخرج منه حباً) والضمير في (منه) يعود في هذه الجملة (للخَضر) لأنه أقرب مذكور إليه ولكن ما معنى أن يخرج الله الحب من الخضر؟!.

وهنا يمكن سر الإعجاز في الآية بل هنا الإشارة إلى السر الذي لا يزال سراً عند العلماء إلى اليوم، لقد عرف العلم أن بناء النبات وغذائه من عنصر (الكاربون) الموجود في الطبيعة والذي يأخذه النبات من ثنائي أوكسيد الكاربون (Co_2) الذي يخرج عند تنفس الإنسان من أنفه في عملية الزفير حيث يقوم الإنسان عند التنفس بأخذ الأوكسجين وطرح ثنائي أوكسيد الكاربون والنبات يأخذ هذا المركب الذي يعتبر سم قاتل بالنسبة للإنسان ويحلله إلى عنصرين هما الكاربون (C) والأوكسجين (O_2) فيطرح الأوكسجين إلى الجو مرة أخرى ويأخذ الكاربون ويذيبه بالماء الممتص من جذوره وأغصانه ويصنع منه كيانه وثماره كلها ولكن كيف يحلل النبات ثنائي أوكسيد الكاربون إلى عنصريه هنا الأعجوبة التي وردت في القرآن الكريم حيث يقول (..فأخرجنا منه خضراً..)الانعام/99 و (الخضر) الذي أشار إليه القرآن الكريم هو ذاته المادة الخضراء التي يستخدمها النبات في عملية تحليل ثنائي أوكسيد الكاربون إلى

عنصريه والذي يحصل نتيجة تفاعل كيميائي عجيب بين هذه المادة الخضراء التي في خلايا النبات في الأوراق والتي تدعى (الكلوروفيل) وبين ضوء الشمس ولكن العلماء لم يعرفوا سر هذا التفاعل الكيمياوي لحد الآن وكل ما عرفوه أنه لولا المادة الخضراء لما حصل تفاعل ولما أمكن تحليل ثنائي أوكسيد الكاربون إلى عنصري الكاربون والأوكسجين ولما تمكن النبات من أخذ غذائه الذي هو (الكاربون) لصنع ثماره[69].

فسبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

7- الحيوانات:

أما الحيوانات فلا تقل شأناً عن سائر مخلوقات الله التي سخرها للإنسان وقد وردت في القرآن الكثير من الآيات التي تتحدث عن الحيوانات وأسرارها وسنقتصر منها على الأنعام التي لها علاقة مباشرة بحياة الإنسان إذ أنها تمثل دوراً رئيساً في غذائه وفي ملبسه ومركبه وما من دابة ذكرها الله سبحانه في قرآنه إلا وفيها من الأسرار التي يعجز أمام عظمتها جبابرة العلم حيث يقول تعالى: (وأن لكم في الأنعام لعبرة) وقال: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) الغاشية/17. وقال سبحانه: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) يس/7. (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) يس/73. فأية قدرة هذه التي جمعت في الأنعام بين أن تكون آكلة للأعشاب ميسوراً غذاؤها يسيراً تذليلها وبين أن تكون مخزناً دائماً ومصنعاً دائباً للحليب والسمن واللحم وكل هذه الأغذية من (المواد البروتينية) وقد كان المتوقع عقلاً أن تنتج هذه الأنعام التي تتغذى على العشب (الذي هو عبارة عن كاربون كما أسلفنا) أن تنتج مادة سكرية أو نشوية أو كاربوهيدراتية لا أن تنتج مادة كلها بروتينات من لحم ولبن ودهن وسمن فسبحانه وتعالى.

وقد أثبت العلم أن الإنسان يحتاج في حفظ حياته إلى هذه الأغذية التي تتألف بصورة رئيسية من البروتينات والأملاح المعدنية والفيتامينات ويقول العلم أن هذه الأنعام وحدها من بين جميع الحيوانات اللبونة تنتج اللبن باستمرار وكثرة عظيمة ولو قطع عنها رضيعها وما هذا إلا من تسخير الله لها[70]، قال تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً

نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ) النحل/66. فالعبرة التي نأخذها من الأنعام هي تلك الحقيقة العلمية عن اللبن المستخلص من بين فرث ودم فامتصاص الأمعاء للعصارة التي تتحول إلى دم يذهب إلى كل خلية في الجسم فإذا صار إلى غدد اللبن في الضرع تحول هذا الدم إلى لبن ببديع صنع الله العجيب وعملية تحول الخلاصات الغذائية في الجسم إلى دم وتغذية كل خلية بالمواد التي تحتاج إليها عملية عجيبة فائقة العجب تتم في الجسم في كل ثانية كما تتم عمليات الاحتراق، فعمليات الهدم والبناء مستمرة في هذا الجسم الحي لا تكف حتى تفارق الروح الجسد[71].

وقبل أن نحتم هذا الجزء من الموضوع لابد أن نشير إلى أعظم مخلوقات الله التي ذكرها في القرآن الكريم وأرشدنا إليها ألا وهو (النحل) هذا المخلوق العجيب في تنظيمه وغرائزه حيث يقول تعالى فيه: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) النحل/68-69. فالنحل يتخذ بيوته حسب فطرته التي أودعها الله فيه في الجبال والشجر وما يعرشون أي ما يعرفون من الكروم وغيرها وقد ذلل الله لها سبل الحياة بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق والنص على أن العسل الذي تخرجه من بطونها فيه شفاء للناس قد شرحه بعض المختصين في الطب شرحاً فنياً وهو ثابت بمجرد النص عليه في القرآن[72].

الإنسان:

ومن عجائب خلق الله هذا الكائن الذي سخر الله له كل ما في الوجود لخدمته وراحته بالإضافة إلى ما أودعه الله في جسمه من الأعضاء والأجهزة التي تعمل في داخله بإرادته أو بدونها من أول يومٍ يخلق فيه إلى آخر يومٍ في حياته، وقد ذكر القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان منذ أن كان جنيناً في بطن أمه إلى أن يتوفاه الله ويعود إلى التراب الذي خلق منه حيث يقول تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) غافر/67. وقال في موضع آخر: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) الروم/54.

وهكذا نجد القرآن الكريم يصف لنا مراحل خلق الإنسان ونشأته من طين ويصف لنا أدق التفاصيل التي تتعلق بمراحل خلقه ونموه والتي لم يتوصل إليها العلم إلا في وقت متأخر ومن هذه التفاصيل هي مراحل خلق الإنسان في بطن أمه التي ذكرها القرآن في أكثر من عشر آيات تصور خلقه من نطفة وبيضة وعلقة ومضغة ثم عظام ولحم إلى أن أنشأه خلقاً متكاملاً حيث يقول تعالى في عدة آيات: (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلً) الحج/5. ويقول: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)[73] ويقول: (أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ)[74]، ويقول سبحانه: (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) المؤمنون/12-14. وقال: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) الزمر/6.

أن هذا البيان القرآني الدقيق لمراحل خلق الإنسان ونشأته ومراحل تطور الجنين في الرحم تتفق تماماً مع أحدث المقررات العالمية الحديثة والمعاصرة.

وهذا كان فوق المستوى العلمي للعرب بل والعالم في عصر التنزيل وبعده بعدة قرون ولم يكن الناس المعاصرون لنزول القرآن على علم بتلك الحقائق العلمية القرآنية ولاشك في أنهم لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير تلك الآيات القرآنية مثلما ندركه نحن اليوم لأن معطيات المعرفة الحديثة تعيننا على تفسيره.

وبينما كانت المعتقدات الوهمية تسود في الأوساط العلمية عن مراحل نمو الإنسان وتطور الجنين، كان القرآن في ذات الوقت قد قرر بتحديد ووضوح هذا الأمر قبل أكثر من ألف عام[75].

ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك:

تطور الجنين في رحم الأم[76]:

يصف القرآن تطور الجنين في رحم أمه وصفاً دقيقاً ويبين المراحل التي يمر بها كما ورد في الآيات السابقة وإذا عدنا إلى تفسير هذه المراحل وفقاً لمعطيات العلم الحديث والقرآن الكريم الذين اتفقا معاً في هذا الجانب حيث نجد أن النطفة تتحول مع البويضة إلى (علقة) وأن المعنى الدقيق لكلمة (علق) هو شيء يعلق ويتشبث وهذا هو المعنى المتفق مع أحدث معطيات العلم اذ تعلق هذه (العلقة) في جدار الرحم الذي عبر عنه القرآن الكريم بقوله (في قرارٍ مكين) وبعد ذلك تتحول هذه العلقة إلى (مضغة) والمضغة هي ما يشبه اللحم النضر الممضوغ بقوله تعالى: (فخلقنا العلقة مضغة) ويتطور بعد ذلك إلى الهيكل العظمي في هذه الكتلة (المضغة) حيث يقول تعالى: (فخلقنا المضغة عظاماً) وبعد أن تتشكل العظام تتغطى بالعضلات ويكسوها اللحم كما يقول تعالى: (فكسونا العظام لحماً)، وعندما يكون الجنين مضغة تكون بعض أجزائه متناسبة مع ما سيكون عليه الفرد في المستقبل في حين تكون أجزاء أخرى منه غير متناسبة وفي هذا يقول تعالى: (فأنا خلقناكم من تراب...) إلى أن يقول (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة، لنبين لكم..).

الظلمات الثلاث؟

أشار القرآن الكريم إلى الوسط والجو الذي يتم فيه تطور الجنين في الرحم وأنه يتطور خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث حيث قال يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ) الزمر/6. فما هو المراد بالظلمات الثلاث التي يتطور فيها الجنين؟ لقد رأى المفسرون المحدثون في هذه الآية المستويات الثلاثة التي تحمي الطفل في بطن أمه وهي: (جدار البطن، والرحم نفسه، وأغشية الجنين الثلاثة هي

(المشيمة، الأغلفة الرقيقة، والسائل الامنيوسي)، وهذا التفسير كما يعتقد غير قابل للجدل من وجهة نظر علم التشريح[77].

النتائج :

مما ورد من سرد لابرز ما في الكون من ارضه و سمائه فضلا عن مخلوقاته و خصوصا الانسان و ما فيه من بدائع صنع الله فيه و تسخير الكون لتيسير عيشه في هذه الحياة يمكن ايجاز المقاصد التربوية في الوقفات الاتية :

- اثبات وجود الخالق سبحانه و توحيده و الدلالة على عظمته و تدبيره و حكمته و علمه .
- ان التأمل في بدائع صنع الخالق العظيم له اثر كبير في تثبيت الايمان و تقوية الصلة بالله سبحانه و تعالى من خلال الاطلاع على عظمة مخلوقاته ، فكيف بالخالق الذي اوجدها سبحانه .
- الحث على طلب العلم و الاستزادة منه في كافة المجالات و عدم الاقتصار على جانب واحد منه لما فيه من الاصلاح لحياة الانسان و تسهيل لوسائل العيش الكريم فضلا عن الحفاظ على صحة الانسان و حياته من خلال معرفة ما ينفعه و ما يضره من مأكل و مشرب و ملبس .
- عدم الانبهار بما يظهر من استكشافات حديثة و تغليبها على علم الدين كون القران الكريم قد ورد فيه ذكرها او الاشارة الى اغلبها في محكم اياته و هذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان هذا القران ليس كلام البشر و انما هو من خالقهم الذي سخر لهم الكون و ما فيه .
- و لا شك في ان القران الكريم هو معجزة الله الخالدة و الذي حفظه الله جل في علاه من التحريف قال تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون)الحجر:9

فكما اعجز العرب ببلاغته قبل 1400 سنه ، ها هو اليوم يعجز العلماء و يبهرهم بما ورد فيه من ادق التفاصيل للكثير من مظاهر الكون . فسبحان الذي انزله و حفظه من التحريف و اودع فيه من عجائب صنعه و تدبيره .

الخاتمة:

يتضح لنا مما ورد في هذا البحث أن في القرآن الكريم آيات تتحدث عن الكون وما فيه من أسرار الوجود والخلق وقد جعل سبحانه وتعالى هذه الآيات وسيلة لتحقيق مقاصد تربوية عظيمة تتعلق بعقيدة الإنسان كإثبات الخالق والإيمان به وتوحيده وتنزيهه عن الولد والدلالة على صفاته، وكذلك فإن هذه الآيات قد وضحت الأسباب التي خلق من أجلها هذا الكون بما فيه من الظواهر المتعددة وأهم هذه الأسباب والغايات هو تيسير عيش الإنسان على هذه الأرض وتسخير كل الموجودات لخدمته ليتمكن من السعي في هذه الأرض بما أمره الله، وقد حث القرآن الكريم على وجوب النظر والتدبر في هذه الآيات وما فيها من الأسرار والحكم وما فيها من الإعجاز)) وهذا لا يحدث قطعاً إلا إذا قمنا بتفسيرها ومعرفة ما فيها من الحقائق الثابتة التي لا تتغير بتقادم الزمن، وذلك بالاستعانة بما توصل إليه العلم الحديث من الحقائق الثابتة العلمية، وقد وضع لهذا التفسير ضوابط معينة لكي يكون سالماً من الزيغ والبعد عن المقاصد والأغراض الحقيقية بهذه الآيات، وبذلك تبين لنا الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من خلال ما عرضناه من الآيات السماوية والأرضية وما ذكر فيها من الحقائق التي لم يتوصل إليها الإنسان إلا في وقت متأخر في حين أن القرآن ذكرها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان وبذلك أبطل القرآن ذلك الهوس العلمي الذي وصل ذروته في القرن (19) فقد وقف الناس في ذلك القرن مبهورين أمام التقدم العلمي))الهائل في سائر مجالات الحياة وقد أدى هذا الهوس إلى إحاطة العلم بهالة من القداسة وبثقة مطلقة بأن الطريق الوحيد لحل كل ألغاز الكون والإجابة عن كل الأسئلة التي شغلت بال الإنسان منذ فجر التاريخ وحتى الآن، ولما كان الله سبحانه وتعالى لا يخضع للتجارب، والحس والمشاهدة لذلك أعلن المصابون بهذا الهوس أنه غير موجود لأنهم لا يرونه لا بالمجهر ولا بالتلسكوب ولا حتى بالرادار، ولكن شيئاً فشيئاً أخذت حدّت هذا الهوس بالهبوط التدريجي وأخذ يسود الأوساط العلمية مسحة من التعقل وهذا التعقل نجم عن المزيد من التقدم العلمي الذي وسع المدارك ولذلك وجدت دراسة عن علماء

الطبيعة أن نسبة المؤمنين بينهم أخذت بالزيادة، فقد تبين من الدراسة على (290) من علماء الطبيعية أن (242)منهم أعلنوا إيمانهم الكامل بالله وبذلك))يتبين لنا ما لهذه الآيات التي أودعها الله في هذا الكون الواسع من أثر كبير تربية الإنسان وتصحيح عقيدته وتبين لنا حكمته تعالى حينما ذكرها في القرآن ودعا إلى النظر بما فيها من الإعجاز وما هذا إلا إيحاء من الله سبحانه إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل وأن الإنسانية ذاهبة في أرقى عصورها إلى هذا المذهب وأن الدين سيكون عقلياً وأن العلم هو آخر أنبياء الأرض.

Conclusion

It is clear to us from what has been mentioned in this research that there are verses in the Holy Qur'an that talk about the universe and the secrets of existence and creation, and the Almighty and Sublime have made these verses a way to achieve great educational goals related to the human belief, such as proving the Creator, believing in Him, unifying Him, distancing him from the child and indicating his characteristics, as well as these The verses have clarified the reasons for which this universe was created, with its multiple phenomena. The most important of these reasons and goals is to facilitate man's living on this earth and to harness all the assets to serve him so that he can strive on this earth with what God has commanded. The Holy Qur'an has urged the necessity of looking and reflecting on these verses And what m N secrets and wisdom and the miracles in it This definitely does not happen unless we interpret them and know the fixed facts that do not change with the passage of time, using the help of modern science from the established scientific facts. For this interpretation, certain controls have been established in order to be safe from aberration and away from the purposes and true purposes of these verses. Thus, the scientific miracle of the Holy Qur'an was revealed to us through the heavenly and

earthly verses we presented and the facts mentioned in it that a person did not reach until late, whereas the Qur'an mentioned them more than fourteen centuries ago, and thus the Qur'an nullified that scientific obsession that Climax reached It was in the 19th century. In that century, people stood fascinated by scientific progressThe massive in all spheres of life This obsession has led to surround the science with an aura of holiness and with absolute confidence that the only way to solve all the mysteries of the universe and answer all questions that have occupied man's mind since the dawn of history until now, and when God Almighty is not subject to experience, sense and witness to that Those afflicted with this obsession declared that it does not exist because they do not see it either with a microscope, with a telescope, not even with a radar. The Pledge of allegiance that the proportion of believers among them took the increase, the study found on (290) of natural scientists to (242) of them declared their full faith in God and so It becomes clear to us what significant impact these verses God has deposited in this vast universe on raising a person and correcting his belief. We show His wisdom when he mentioned it in the Qur'an and called for consideration of the miracles and what this is but a suggestion from God Almighty that time is heading in his march to the scientific side Based on research and evidence, and that humanity goes in its finest times to this doctrine, that religion will be rational and that science is the last of the prophets of the earth.

قائمة الهوامش:

(1) فاطر/ 21.
(2) الجاثية/ 3-6.
(3) فصلت/ 53.
(4) انظر: جواهر الأدب/ أحمد الهاشمي، ص184.

(5) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ مصطفى صادق الرافعي، ص130.
(6) البقرة/ 164.
(7) انظر: الكون في القرآن الكريم/ إسماعيل قرني، أطروحة ص38-60.
(8) انظر: الطبيعة في القرآن/ كاصد الزيدي، ص267، والله سبحانه وتعالى/ صلاح الدين عبد المجيد، ص26-27.
(9) انظر: الطبيعة في القرآن/ كاصدالزيدي، ص268-271.
(10) العنكبوت/ 61.
(11) الكشاف/ الزمخشري، ج2، ص500.
(12) الأنعام/ 101.
(13) انظر: الطبيعة في القرآن/ كاصدالزيدي، ص292.
(14) يونس/ 68.
(15) البقرة/ 116-117.
(16) الزمر/ 67.
(17) انظر: الطبيعة في القرآن/ كاصدالزيدي، ص292.
(18) أنظر: المصدر السابق، ص306.
(19) انظر: كاصدالزيدي/ الطبيعية من القرآن، ص307، انظر: جواهر الأدب، أحمد الهاشمي، ص184.
(20) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص263-264.
(21) انظر: المصدر السابق، ص265.
(22) انظر: معجزة القرآن/ الشعراوي، ص85.
(23) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص269-270.
(24) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص272-273.
(25) المصدر السابق.
(26) الكون في القرآن/ إسماعيل قرني، ص51.
(27) انظر: المصدر السابق، ص55.
(28) انظر: الكشاف/ الزمخشري، ج4، ص381، 686.
(29) أخرجه أبو داود.
(*) السنة الضوئية: هي المسافة التي يقطعها ضوء الشمس للوصول إلى الأرض والسنة الضوئية = 6 مليار ميل. علماً أن الضوء يقطع في الثانية 186 ألف ميل ونور الشمس يصل إلينا في 8 دقائق.
(30) انظر: لغز الأرض/ شاكر عبد الجبار، ص25-28.

(31) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص289.
(32) انظر: الكون بين العلم والدين/ محمد الفندي، ص59-61.
(33) انظر: الله سبحانه وتعالى/ صلاح الدين عبد المجيد، ص16-17.
(34) انظر: المصدر السابق، ص12.
(35) الكشاف/ الزمخشري، ج4، ص32.
(36) الكون في القرآن/ إسماعيل قرني، ص61.
(37) الكشاف/ الزمخشري، ج4، ص577.
(38) انظر: الكون بين العلم والدين/ الفندي، ص66.
(39) انظر: الله سبحانه وتعالى/ صلاح الدين عبد المجيد، ص12.
(40) الكشاف/ الزمخشري، ج4، ص16.
(41) انظر: لغز الأرض/ شاكر عبد الجبار، ص14.
(42) انظر: قصة الإيمان/ نديم الجسر، ص328.
(43) القرآن محاولة لفهم عصري/ مصطفى محمود، ص50.
(44) انظر: قصة الإيمان/ الجسر، ص329.
(45) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص289.
(46) انظر: القرآن محاولة فهم عصري/ مصطفى محمود، ص49.
(47) انظر: معجزة القرآن/ الشعراوي، ص89.
(48) الكون بين العلم والدين/ الفندي، ص64.
(49) انظر: معجزة القرآن/ الشعراوي، ص180-182.
(50) انظر: الكون بين العلم والدين/ الفندي، ص35-36، وانظر: العلم يدعو إلى الإيمان، كريس مورسون، ص65.
(51) انظر: الكون بين العلم والدين/ الفندي، ص38.
(52) انظر: لغز الأرض/ شاكر عبد الجبار، ص46.
(53) انظر: الكون بين العلم والدين/ الفندي، ص43.
(54) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص290.
(55) انظر: الكون بين العلم والدين/ الفندي، ص38-48.
(56) انظر: لغز الأرض/ شاكر عبد الجبار، ص56.
(57) الكشاف/ الزمخشري، ج3، ص179-180.
(58) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص260.

(59) انظر: لغز الأرض/ شاكر عبد الجبار، ص85. انظر: الله يتجلى في عصر العلم، ص44.
(60) المصدر السابق، ص86.
(61) انظر: الإعجاز القرآني، ص276.
(62)ويقال أن المكان هو عند مضيق جبل طارق.
(63) انظر: قصة الإيمان/ نديم الجسر، ص335-337.
(64) انظر: الكون بين العلم والدين/ الفندي، ص50.
(65) الكشاف/ الزمخشري، ج3، ص609.
(66) انظر: قصة الإيمان/ نديم الجسر، ص338.
(67) انظر: معجزة القرآن/ الشعراوي، ص90-91.
(68) انظر: قصة الإيمان/ نديم الجسر، ص362.
(69) انظر: قصة الإيمان/ نديم الجسر، ص345.
(70) انظر: قصة الإيمان/ نديم الجسر، ص366-367.
(71) ظلال القرآن/ سيد قطب، م5، ص258.
(72) ظلال القرآن/ سيد قطب، م5، ص261.
(73) الإنسان/ 2.
(74) المرسلات/ 20.
(75) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص300.
(76) المصدر السابق، ص299.
(77) انظر: البيان في إعجاز القرآن/ د. صلاح الخالدي، ص299-301.

قائمة المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. الإعجاز القرآني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة الأمة، بغداد، 1410هـ-1990م.
3. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مجموعة مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط9، 1393هـ-1973م.
4. الله سبحانه وتعالى، صلاح الدين عبد المجيد، مطبعة الجمهور، الموصل، ط2، 1401هـ-1981م.
5. البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان – الأردن، 1989م.
6. تفسير وبيان مفردات القرآن، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، دمشق – بيروت، إعداد محمد حسن الحمصي (د.ت).
7. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، ط26، 1385هـ-1965م.

8. الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاصد ياسر الزيدي، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1980م.
9. العلم يدعو إلى الإيمان، أ. كريسي موريسون، ترجمة محمود صالح الفلكي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، ط5، 1965م.
10. في ظلال القرآن، سيد قطب، م5، ط6، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
11. قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، الشيخ نديم الجسر، الدار العربية، بيروت، ط3، 1389هـ-1969م.
12. (القرآن) محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود، مؤسسة روز اليوسف، (د.ت).
13. القرآن يفك لغز الأرض، شاكر عبد الجبار، مطبعة أسد، بغداد، ط1، 1985م.
14. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ج2، 3 ، 4.
15. الكون بين العلم والدين، د. محمد جمال الدين الفندي، مطابع الأهرام، جمهورية مصر، 1972م.
16. الكون في القرآن الكريم – دراسة مقارنة، إسماعيل محمد قرني، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية – بغداد، 1993.
17. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الرسالة، الكويت، 1402هـ-1982م.
18. معجزة القرآن، الشيخ محمد متولي الشعراوي، المكتبة الشرقية، الدار العربية – بغداد، (د.ت).

List of Sources and reference:

I. The Holy Quran.
II. The Quranic Miracle, Ministry of Awqaf and Religious Affairs, Al-Ummah Press, Baghdad, 1410AH-1990AD.
III. The Miracle of the Qur'an and Prophetic Rhetoric, The Collection of Mustafa Sadiq Al-Rafii, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut - Lebanon, 9th Edition, 1393AH -1973AD.
IV. God Almighty, Salah Al-Din Abdul Majeed, Al-Jamhour Press, Mosul, 2nd floor, 1401 AH -1981AD.
V. The statement in the miracle of the Qur'an, d. Salah Abdel-Fattah Al-Khaldi, Dar Ammar, Amman - Jordan, 1989.

VI. Interpretation and clarification of the vocabulary of the Qur'an, Dar Al-Rasheed, Al-Iman, Damascus - Beirut, prepared by Muhammad Hassan Al-Homsi (D.T.).

VII. Jewels of Literature in the Literature and Establishment of the Arabic Language, Ahmad Al-Hashemi, 26th edition, 1385AH -1965AD

VIII. Nature in the Holy Quran, d. Asad, Yasser Al-Zaidi, Dar Al-Rasheed, Iraq, Publications of the Ministry of Culture and Information, 1980.

IX. Science calls for faith, a. Chrissy Morrison, translated by Mahmoud Saleh Al-Falaki, Franklin Foundation for Printing and Publishing, Cairo, New York, 5th floor, 1965 AD.

X. In the Shadows of the Qur'an, Sayyid Qutb, M5, 6th floor, Arab Heritage Revival House, Beirut - Lebanon.

XI. The story of faith between philosophy, science and the Qur'an, Sheikh Nadim Al-Jisr, The Arab House, Beirut, 3rd floor, 1389 AH -1969 CE.

XII. (The Qur'an) An Attempt to Understand My Modern, Mustafa Mahmoud, Rose Al-Youssef Foundation, (D.T.).

XIII. The Qur'an Unveils the Earth's Mystery, Shaker Abdul-Jabbar, Asad Press, Baghdad, 1st edition, 1985 AD.

XIV. Explanation of the disclosure of the facts of the mysteries of the download, Al-Zamakhshari, the Arab Book House, Beirut - Lebanon, part 2, 3, 4.

XV. The universe between science and religion, d. Muhammad Jamal Al-Din Al-Fandi, Al-Ahram Press, Republic of Egypt, 1972.

XVI. The Universe in the Noble Qur'an - A Comparative Study, Ismail Muhammed Qarni, Unpublished Master Thesis, College of Islamic Sciences - Baghdad, 1993.

XVII. Mukhtar al-Sahah, Muhammad ibn Abi Bakr al-Razi, Dar Al-Risala, Kuwait, 1402 AH -1982 CE.

XVIII. The Miracle of the Qur'an, Sheikh Muhammad Metwali al-Shaarawi, Eastern Library, Arab House - Baghdad, (D.T.).